

سيرورة النسق القرائي في تكوّن الفعل التأويلي

ARTICLE TITLE; The process of arranging the reading and the proliferation of the interpretative act

شرف فاطمة الزهراء^{1*}. سعد الله زهرة²

¹ جامعة وهران 1 أحمد (الجزائر) zahra-ange@hotmail.com

² جامعة وهران 1 أحمد (الجزائر) saadallahchahra@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/03/28

تاريخ القبول: 2021/08/20

تاريخ الإرسال: 2021/05/05

ملخص: تأتي هذه الدراسة لمناقشة وعرض صور وزوايا تكامل البعدين (القرائي/التأويلي) في سبيل تحقيق التخيّر التأويلي للنص الأدبي انطلاقاً من فعل التأويل نفسه مروراً بتدخلات القارئ وسلطته في توجيه مسارات القراءة والكشف عن تضاعفات المعنى داخل النصوص الأدبية، وما تزخر به من حمولات فكرية بما ينسجم والطروحات الفلسفية والمعرفية التي تتأسس بمقتضاها هذه النصوص، والتي تفيد عقب كل قراءة بأنّ هنالك المزيد مما يمكن قوله بخصوص العمل الأدبي، وأنّ شكل التأويل دائري يقتضي التبخر في ملء فراغات النص حد تفجر الأفهام، والأخذ بما يفتح المجال نحو أبعاد دلالية قادرة على تجاوز اللبس وسوء الفهم الكامن في العلامة، والرمز، والإشارة، والكتابة الحاملة لمختلف أوجه التجارب الحياتية، التي تسهل لنا عملية فهم أنفسنا وفهم الآخر من خلال الأنشطة القرائية ذات البعد التشاركي/الجمعي، بعيداً عن الفردية والتأملات الذاتية التي تُلغي الوعي و الفهم الكفيلان بإعادة الإنتاج الثقافي والإنساني والحفاظ عليهما بوساطة اللغة ومحاولات الفهم المستمرة.

الكلمات المفتاحية: العمل الإبداعي - القراءة - التأويل - التكوّن - الفهم

ABSTRACT: The present study enters into the discussion and presentation of the images and angles of integration of the dimension (reading/interpretation) with a view to the realization of the interpretative graduation of the literary text based on the act of interpretation itself, passing through the reader's interventions and his power of orientation of the reading process and the detection of polysemy in the literary texts and the thoughts they contain which are correlated with the philosophical and cognitive propositions which texts are based on. And they indicate after each reading that there is more to say about literary work. The form of the interpretation is circular and requires navigation to fill the spaces of the text until the point of exploding the understandings that open the way to semantic dimensions capable of transcending the confusion and incomprehension inherent in the sign, the symbol and the vehicular writing of the various aspects of life that facilitate our understanding, to understand the other through the activities of reading in a participatory/collective dimension away from individualism and personal reflections that eliminate the understanding and awareness that guarantees the restoration and preservation of cultural and human production through language and the continuous temptations of understanding.

Keywords: Literary work, reading, hermeneutics, proliferation, understanding

1. مقدمة:

إنَّ المعرفة التأويلية مدينة للكثير من المنعطفات القرائية، والمؤشّرات المرجعية، والإستبصارات النظرية التي تهيم للنص غايات مشحونة بعناصر من الإحياءات السيكلولوجية والاجتماعية المكتسبة عن طريق الخبرات الحسية التي يُعايشها الإنسان في واقعه اليومي، كون العالم الخارجي للإنسان هو مصدر كل معارفه ومكتسباته، التي يقوم بإسقاطها على النص أثناء عملية التحليل الخطابي، إلا أنها تبقى قاصرة عن بسط موقعها اللائق ضمن سلسلة المواضعات الفعلية ما لم تتوافر على بنية اللغة بكل مقوماتها.

ويأتي بحثنا وفق هذا الطرح، لبحث في إشكالية كل من التأويل والفهم وما بينهما من مسافات تنتمي إلى زمن التلقي الذي يسعى باحثا عن الكيفية التي يمكن للفعل القرائي من خلالها أن يؤسّس لتأويلات يتجاوزها بالإثراء والتغيير، باحثا عن الكيفية التي تمكّن نسق القراءة من توجيه فعل التأويل ومراقبته، فهل يمكن للقارئ أن يبلغ أفق المعنى النصي انطلاقا من لغته؟ وهل يمكن للفهم أن يلامس فرادة النص كونه يتأسس على أكثر من صورة جمالية مفتوحة على عدة مآخذ لسانية وغير لسانية؟

مثيرات التأويلات واشتراطات فعل القراءة:

يعتبر الفعل التأويلي ممارسة كتابية تمثّل في حد ذاتها قراءة مُنتجة، تعبّر عن تمرُّسٍ بالنص وعن تمرُّسٍ بالذات في الآن نفسه، مُحَقِّقة بذلك اتحادا وثيقا بين التلقي والإنتاج، وذلك ناتج عن ترقية بُعد الإنتاج في الكتابة إلى مقام المعرفة بالذات، وترابطا مع ذلك تصوّر نشاط القراءة بكونه قبل كل شيء فعل تلقٍ مُنتج، يتحوّر باستمرار ليصبح مساهما في تشكيل ملمحا نصيا جديدا ومغايرا للملمح الأول، لأن فعل التأويل فعل يُخضع النص لهزات ومساءلات عنيفة تُظهر مدى كفاءة القارئ في كشف مُتسع جديد من معالم نصوص أخرى أثناء ممارسة فعل القراءة، وذلك ضمن تصور الكاتب أثناء ممارسته فعل الكتابة، بصفته المانع للنص دلالات وأوجها أكثر غنى¹، تفوق تصوّر النص في نظامه المتخيّل القائم على نسقية بنائية متنامية بشكل مترابط، تلغي كل الأحكام التفسيرية المبسطة بالمعنى الساذج للكلمة، فتصورات الكتابة تعزز الدقة المنهجية في محاولتها الموازنة بين سؤال الكتابة وسؤال القراءة الذي يحفظ الفروقات الرؤيوية للعمل المؤوّل.

لأن ماتضيفه الكتابة لمستوى النص/الخطاب المُعطى تقوم الممارسة التأويلية بتشريحه وفق برنامج تركيبية أكثر جدة على المستوى النصي، بغية خلق بناء تكاملي قادر على قول محتواه أمام خطاب قرائي قادر هو الآخر على احتواء مدلولات النص الأصل وتفجيرها وفق أساليب جديدة تعزز روح العلاقة بين النص المقروء وخطاب التلقي، فما تركّبهُ الكتابة تحلله الممارسة لذلك فهي "تخلو من التمثّل لأنها تقوم بإنشاء وحدات دلالية حاملة لتصور معيّن حول المعطيات التاريخية المدروسة"². وفق علائق موضوعية تعكس قوانين المنظومة الخطابية التي يتمركز حولها الباحث

والمتلقي ضمن وحدة النصوص الباحثة عن المعنى الحقيقي خلف التشكيلات المجازية القابلة للتحقق الفعلي ضمن ميزة القراءة الداعمة للنصوص بصفتها "سيرورات دلالية كامنة لا تتحقق ولا تتفعل إلا بالقراءة وفي القراءة، فوجود الأدب يتطلّب القارئ بقدر ما يتطلّب الكاتب، وهذا يعني تبئير الاهتمام لا على النص من حيث موقعه في سلسلة تاريخية أو من حيث حملته الفكرية أو من حيث ماديته الشكلية أو اللغوية، ولكن من جهة تلقيات القراء المتعاقبة لهذا النص، فالإبدال الجديد الذي تقترحه جمالية التلقي على النقد العربي هو الاهتمام بأثر الأدب في القارئ لا بالأدب في حد ذاته أو في حد مرجعيته أو تاريخيته" 3، التي تطرح تساؤلات تتجه بلا شك نحو استكناه ما الذي كان يقال وراء ما قيل فعلا خلف الواجهة اللغوية المندرجة في تجربة الخفاء وسلطة الخلق الفني للنص الذي يقدّم نفسه على شكل سيرورات دلالية منجزة تتوالد عبر فعل لساني قاصد، وعمل لغوي هو القراءة التي يقول عنها رولان بارث 1915-1980 -R.BARTHES- إنها تجربة إيجاد المعاني 4، والكشف عما يتوارى خلف المقولات النصية التي يقيمها النظام الصوتي والنحوي والتركيبى للفعل القاصد(النص).

فتصوير القراءة على أنها نظام لغوي "يخرجها من كونها استهلاكاً للمكتوب إلى مفهوم آخر تصير فيه مُنتجة له وفاعلة فيه، وعلى هذا يصبح من الضروري أيضاً الفصل بين مفهومين للقراءة، الأول يتلائم مع مفهوم القراءة أداة استقبال لرسالة نفعية استهلاكية يكون الايصال فيها هو الهدف الرئيس، والثاني يتلائم مع مفهوم للقراءة تكون القراءة فيه مُنتجة للرسالة (النص الأدبي) لا أداة لها، ويكون تدشين المعنى فيها هو الهدف الرئيس وليس الايصال" 5 فقط.

فطاقة الجذب هذه بين طرفي العمل الفني (النص/ القارئ) تكشف لنا عن العلاقة الجدلية بينهما ضمن شرط المصادقية المرجعية والمأوى التاريخي لكل منهما، هذا المأوى يضمن تحققهما الفعلي ويجعل من "وجودهما بقاءً لا يتناهى" 6.

لأنّ القراءة "وسيط الإبداع إلى الإنسان، ووسيط الإنسان إلى الإبداع، وهذا يعني أنها في توسّطها ليست لحظة عابرة، بل هي لحظة حدوث دائم يجعل الإبداع والإنسان على مثال الحضارة تعدّداً وانفتاحاً واتساعاً وارتحالاً" 7 يساهم في إرجاع أبعاد الظواهر إلى أصولها عبر علاقات تنبني وتشكل انطلاقاً من قوى ذهنية ونفسانية غايتها تحليل الفوارق والاختلافات الموجودة بين صيغ الخطاب وأوجهه المتعددة التي تعطي مقاييس اختلافية تديم نشوة المسئلة واستدعاء اللامفكر فيه (L'impensé) عبر إجراء فعل القراءة الذي يستلزم قوة الأفق في بناء معنى النص وفهمه، وبما أنها (القراءة) فهم ما قمنا بقراءته سابقاً، فهي بذلك تأويل لما تم التفكير فيه من قبل، لتكون بذلك البنية الأساسية والمشاركة لكل تحقيقات المعنى.

فالذات المؤولة وهي تدخل في حوار مع النص تستدعي مخزونها الثقافي والموسوعي، فتنتعش أفكار وتجارب كانت تمثل العناصر المترسبة لتتجاوب مع ما هو ماثل أمامها.

هذا الارتجاج الذي يحدث يصنع التجربة التي يعيشها القارئ، وهي تجربة تساهم بدورها في بناء قوى المعنى مما يولد معها أفقا جديدة "8 ومغايرة، تستقي شحنتها من فهم العالم على أساس من الإمام بكل ما يشكل حضور الكائن، انطلاقا من الطابع اللغوي للتجربة الإنسانية ومداراتها الجدلية التي يستدعيها موضوع الأدب كخطاب قاصد من شأنه ان يلبي حاجات الانسان بحسب مستجدات الحياة.

هذا ويقودنا الحديث عن سيرورة النسق القرائي وأهميته في إدراك معاني النص إلى استحضار اللغة، فعبر هذه الأخيرة "تتفجر استعارة اللعب في أبعاده وأفاقه وانتظاراته، ومفهوم اللعب هنا ليس سوى اللغة وما يجري فيها من أثناء الفهم والقراءة والتأويل... إذ التأويل مرتبط بمدى الإخلاص في اللعب باللغة، لكونه لعباً جاداً له أهدافه وغاياته الدلالية والجمالية التي تُفضي إلى انسجام تام للواقعة، وليس لعباً حراً يقود إلى تفجير طاقات النص وتحويلها إلى ركام من الدلالات المتنافرة"9 للحصول على إنجازات لغوية مفتوحة قدر المستطاع على مدلولات دائمة الاختلاف، وتفجيرها في شكل كتابة ثانية مرهونة بالسؤال الأكثر عمقا حول ما الذي ارادت الكتابة قوله ابتغاء الوصول الى لحظات التجلي الاولى أثناء تدوين أبعاد القصد الذي تحاور فيه الذات الموضوع لغويا.

إذ تبدولنا اللغة "كما تخبر بذلك ممارستها، أنها ميدان الممكن والمحتمل، لذلك فإن وظائفها متعددة تعدد الممكن والمحتمل، والمعنى فيها لا يتوقف قطعاً على أداء لغوي واحد، ذلك لأن اللغة بالإضافة إلى دورها الإيجابي في تكوين المعرفة- لعباً إيجابياً يخالف المنجز فيها عادة العقل، ليجعل العقل مُدركاً لغير مألوفه ومتجاوزاً لغير معهوده"10، وتلك آلية الكشف عن كل ما هو فريد من المعارف وتنوع المعاني في كل طرح جديد، لأن "اختلاف المعاني تابع لاختلاف البنى اللغوية التي تُنتجها، واختلاف المعارف تابع لاختلاف المعاني المنبثقة عن هذه البنى، ولهذا تتعدد المعاني فيها -اللغة- والشيء واحد، وتنبتق عنها الكثرة، والمرجع هو هو لم يتغير، وقد تبدو المعاني في تلونها مُفارقة لمرجعها، فيتجّه فيها إذ ذاك موضوع الكلام وجهةً يخالف فيها مضمونه"11 الفكري، لأن عناصر الثقافة في توسيع المضمون تلعب دوراً مهماً في تشكيل النص الأدبي وتشكيل المزاج الفردي للمتلقى، فثمة حقائق تتصل بمحور النص- المتلقي أهمها التحوّل والتغير المستمر.

حيث لا يركن النموذج إلى تعريف محدد، ولا يعرف الاستقرار، ومنها أن الكلمة في الكتابة في درجة الصفر تتحرر من مدلولاتها القديمة حتى تصل إلى درجة اللامعنى، فهي لا تعني شيئاً، فتكون بذلك قادرة على أن تعني كل شيء لتخلصها مما علق بها سابقاً، فإبعاد هيمنة المدلول السابق عن الكلمة يقابله إبعاد هيمنة المؤلف على النص، مما يعزز درجة التفاعل والتحاور بين القارئ وموضوع القراءة 12.

وهذه الاستمرارية في نموذجيات التفاعل يجسدها مبدأ الممارسة القرائية التي يُفعلها "القارئ بوعي أو بدون وعي من خلال ذاكرته في قراءة الخطاب، فإذا كان الخطاب شبكة تلقى فيها جملة النصوص فإنَّ قراءاته لنص ما تمرُّ هي الأخرى خلال النصوص التي دخلت في الذاكرة، فإذا كانت الذاكرة الشعرية تتدخل في تشكيل النص عند الكاتب، فإنَّ الذاكرة القرائية تتدخل في تشرح النص عند القارئ أيضا"13.

لذلك لا يمكننا إنكار عنصر التعالق الموجود بين الوعي التشريعي لحظة التلقي، والوعي البنائي - التركيبي - لحظة الكتابة لأنه "أهم شرط ينبغي توافره في القراءة حتى يتحقق الاتصال بين النص والقارئ، فإذا تمَّت المقاربة وتفاعلت العلاقة وتحقق الاتصال، حدثت المعرفة ثم التأويل، أما إذا كان النص غنياً والقارئ عارفاً، فإنَّ المقاربة بينهما تتجدد في كلِّ تتجاسد وتتعاضد تأويلاته، فلا يكون للنص الجاهز والنهائي سوى قراءة مفردة، ويكون للنص الجمع قراءات بعدد قرائه، لأنه يستدعي قراءة الجمع la lecture Plurielle 14، لمحو الفراغ واستنطاق الصمت الكامن فيه، فإقامة التواصل بين ذات القارئ وذات النص يستدعي القطب الجمالي الإدراكي الذي يحققه القارئ15 بحثاً عن الإمكانيات الدلالية والجمالية المتغيرة بتغير مؤشر القراءة لدى القراء.

لتكون بذلك دائرة المنظومة القرائية حدث "لا ينفكُّ يدور على نفسه في ديمومة لا تنتهي، تلغي التاريخ أو تجعله ركناً قائماً في اختيارات الإنتاج الآني، كما يعني من جهة ثانية أنها استدعاء يجعل من القديم حضوراً في ذاكرة الحديث، ويقذف به إلى المستقبل حادثة تصير فيه الحضارة مكاناً، يسجله المكتوب ليكون وجوداً مستمراً يشهد عليه قارئ دائم تُحرِّكه لذة لا تنتهي... وما كان للقراءة أن تكون كذلك إلا لأنها حدثٌ معلقٌ يبحث عن دواعيه ولا يستطيع أن يجدها إلا في ارتباطه واقتارانه بحدثٍ آخر يمكن أن نصلح عليه بالنص، لذا كانت القراءة قراءة لنص وكتابة لهذا النص في الوقت نفسه"16.

حيث يتخذ النص صفة الكائن الحي فهو "فاعل حيٌّ مغلقٌ، لا يكاد يبين، وأما القارئ فهو نشاط فحولي يستولي على المكتوب، يجوبه ويثقب أسوار انغلاقه، يحفره في ذلك شيئان، شهوة تجعل النص يقول قولاً لا يصحُّ إلاَّ صحيحه، ولا يجوز إلاَّ جوازه... فيصير بذلك مستقلاً لا يتحكَّم فيه إلاَّ إنجازَه"17، وزمنتيه وفرادته.

يتبين لنا وفق ما تم طرحه، أنَّ النصَّ وجود مهم، لا يتحقَّق إلاَّ بقارئ، قادر على إثبات جدارة القراءة كفاعلية أساسية لوجود أدب، فالقراءة منذ وجودها هي عملية تقرير مصيري بالنسبة إلى النص، ومصير النص يتحدَّد حسب درجات استقبالنا له، والقارئ دليل يستدل النص به على نفسه... وإليه وحده يكون احتكامه، ومنه يستمدُّ حضوره18، وكيونته التاريخية ووجوده التاريخاني.

وهذا المعنى لا تعتبر عودة القارئ إلى النص بحثاً عن حقائق أرادها مؤلفه، بل عودته تقتصر بما سكت عنه القول وأخفته الكتابة بوازع دفع الحركة النصية نحو التنامي والتكوثر ضمن حلقات معرفية أكثر غموضاً وتماوجاً ضمن سلم الاحتمالات البانية للدهشة داخل حركية الإبداع والإبداع الموازي، ساعياً للكشف عما يمارسه الخطاب من حجب واستبعاد وتلاعب، كاشفاً عما يتوارى خلف المقولات المعتمدة والإشارات الخادعة داخل فضاء الكتابة، عندها فقط تغدو القراءة فعلاً معرفياً لا يخلو من الابتكار والتجديد، حيث لا يقرأ النص للوقوف على المقاصد النهائية للمؤلف، ولا من أجل معرفة الحقائق، بل تكون لحظة القراءة لحظة تغيير العلاقة بالحقيقة، وإقامة علاقات جديدة مع الأشياء والكلمات والأفكار التي تسعى لتوزيع مكونات المعرفة وتكثيرها، وجعل العصي على التفكير قابلاً للدرس والتحليل¹⁹ عبر تفاعل إيجابي قائم على حوارية هادفة بين النص ومتلقيه.

ثم إنَّ النظر إلى المسألة من مدخل "نقد النص تعني أنه لا قارئ لنص يقف على مراد مؤلفه بالتمام، فالرؤية الاختلافية التي تحكم فعل القراءة أو الفعل التأويلي تجعل النص يتجاوز مقاصد مؤلفه، كما يعني أن لا قراءة تقبض على حقيقة النص، لأن النص ليس بيان بالحقيقة بقدر ما هو ساحة للتباين والتعارض 20 والاختلاف والمغايرة اللذان يوسعان معنى النص ليشمل سياقات واستراتيجيات وعوالم محيطية بنا تتجاوز مجرد التأليف اللغوي، فهذا التنوع والاختلاف "لا يتوصّل إليه إلا عن طريق فعل القراءة الذي يتحقّق في زمن غير زمن النص"²¹.

واستناداً على هذا التصوّر فإنَّ "أية قراءة جديدة للنصوص لا تفترض وجود معنى كلي يجب البحث عنه، فهذه حكاية لا أعتقد -يقول سعيد بنكراد- أن هناك من يؤمن بها حالياً، بل تنطلق من فرضية وجود مسارات أو سيرورات مرتبطة بالإمكانات التي تتألف وفقها وحدات المعنى في نسق بعينه"²²، يكون هو المسؤول الأول عن انفلات الرؤية النمطية لحظة تشظي النص وانكشاف ظلاله وأصدائه.

فالنص في عرف نظرية التلقي لا ينبثق من فراغ، ولا يؤوّل إلى فراغ، فليس مصدره أرضاً خلاء، ولا مصيره أرضاً يباب، فكل كاتب ينطلق من أفق فكري وجماليّ يُكَيِّفُ تصرّفه في الموضوعات والأفكار، وتدييره للغة وسياسته للأشكال والأساليب، ويتكوّن من تمرّسه الجمالي وخبرته المسبقة بالجنس الأدبي، ومن تصوّره الخاص للكتابة، لأن كل قارئ

بالمقابل -يمتلك افقاً فكرياً وجمالياً ينضح بخبراته ومن وعيه المسبق بالعلامة التناسية التي تربطه بنصوص أخرى من حيث البنية الشكلية، ومن معرفته (القارئ) بالفرق الجوهرية بين الوظيفة الشعرية والوظيفة العملية للغة، التي تفتح مدارات حوارية تتمخض عن تماهي أفق النص مع أفق توقع القارئ، أو تغيب ذلك لهذا أو تغييره له، وهذا الأخير أفضل الاحتمالات التي تنبئ عن تحقق جودة النص في إحداث الأثر 23 كمطلب وقائي ضد الوقوع في انطماس النص

والإخلال بمنطقه الخاص، وانهميار القلاع الروابط اللسانية المشكلة لوحدها المتجانسة القادرة على حث النشاط الأساسي للقارئ وتوجيهه لملء مناطق اللاتحديد وتخليص الصوت الخفي من قيد الكتابة وبنيتها العميقة.

فالأدب "عملية لا يحركها أو ينظمها قانون مسبق، بل تفاعل مقيّد وموسّع، متبادل بين المعنى الواضح والمعنى الضمني، بين الكشف والخفاء، لأنّ الشيء الخفي يحرض القارئ على الفعل، حيث يكون هذا الفعل مضبوطاً بما هو حاضر... فكلّما سدّ القارئ الثغرات بدأ التواصل" 24 الفاعل وبدأت الذاكرة القرائية تشكل نموها وهي تعيش هاجس النص والمعنى معاً، فما القراءة سوى "استكناه الغياب باعتبار أنّ الغائب أهمّ من الحاضر، وأنّ المعنى الضمني أهم من المعنى الصريح" 25 فالقارئ يتحرّك تأويلياً بمقدار تحرّك النص توليدياً حيث تقوم بينهما حوارية خاصة حسب الزاوية التي ينظر منها القارئ للنص الذي يؤثّر فيه، ويتأثّر به ويسهم في تشكيله تشكيلاً جديداً 26، مرده طبيعة العلاقة التي يُنشئها القارئ مع النص بقياس درجة الانفعال التي يُحدثها الأثر في نفس متلقيه.

وهو ما سعت إلى ترسيخه نظرية التلقي التي "فتحت في الواقع أفقا جديداً في مجال التأويل ضمن النقد الأدبي، بحيث لم تعد غاية دراسة الأدب هي المعرفة فحسب، بل التعرف على طرائق المعرفة وإمكانياتها وممكناتها، وهذا ما يزيد من اتساع حجم الهوة بين القراء العاديين و القراء الاستيمولوجيين، على خلاف ما هو شائع من أن نظرية التلقي والتأويل جعلت النقد الأدبي ملكاً مشاعاً بين القراء" 27.

فمهمّة المؤوّل -والقراءة التأويلية- الأساسية "هي إيجاد السؤال الذي يقدم له النص جواب، أي أنّ فهم النص يعني فهم السؤال، وفي الوقت نفسه لا يصبح النص سوى موضوع تأويل من خلال تقديم السؤال للمؤوّل، فيتحوّل النص ضمن منطلق السؤال والجواب إلى حدث يصبح فيه واقعا في الفهم، وهذا يقوّم بدوره إمكانية تاريخية مهمة، يكون أفق المعنى فيها غير محدّد، كما يشكّل انفتاح كل من النص والمؤوّل عنصراً بنيوياً في انصهار الأفاق، وضمن هذا الفهم الحوارية تتم استعادة المفاهيم التي استعملها الآخر، سواء كان هذا الآخر النص أو القارئ، لأنّها موجودة في إدراك المؤوّل، وعند فهم السؤال الذي يطرحه النص نكون نحن قد طرحنا أسئلتنا أيضاً، ونكون بسبب ذلك منفتحين على إمكانات المعنى" 28 بشكل أكبر

وبناء على السالف من القول فإنّ "دعائم التأويل ومنطقاته تمثل في ذاتها دلالات يسعى التأويل في مراحلها كلّها إلى تمتينها وتأصيلها، بمعنى أنّ هذه الدعائم -الأصول- دلالات تتبلور عبر الخطى التأويلية، حيث يصبح واجباً على التأويل أن ينتهي في كل عملية تحليلية بتقرير الدعائم أو الأصول التي هي مسلمات قبلية، لأنّ التشابك الذي يقيمه التأويل بين الدلالات قبلية ودلالات النص سرعان ما ينحلّ لتُحسم النتيجة لصالح الدلالات قبلية" 29، ودائرة المعارف والمعطيات

التي تساعدنا على التسلل إلى دهاليز المعنى وإلى بؤر تداولاته التي تجعل منه موضوعاً للتمثّل أثناء ممارسته لسلطته المعرفيّة والأنطولوجيّة على الذات-المؤوِّلة- والموضوع..

خاتمة:

في الختام نخلص إلى القول أنّ الممارسة التأويلية في جوهرها نزوع إنساني إلى خلق الاستمرارية لدى الكاتب عبر مختلف انجازاته الفنية، وفي جانب منها -الممارسة- تجسد فعلياً مقدرة المتلقي في الأداء والبناء، وفي التعامل مع الواقع والوجود نصياً، كما يمكننا عدّها إنجازاً واعياً أول خطواته هي القراءة، كونها فعلاً منجزاً ينتظم عبر نسق من العلاقات الخاصة ذات الأفق الواسع، ضمن آفاق معرفية أكثر ثراءً في الكشف عن تصورات الكاتب الإيديولوجية والوظيفية، ومرجعياته الثقافية التي تهيمن عليه لحظة الكتابة، كون هذه الأخيرة سلسلة عناصر تأويلية يستجيب لها المتلقي المنفتح على عديد الإحالات التي تبدو استغراقاً ممتعاً لإثبات فاعلية التلقي لحظة إصداره لمختلف الرؤى الفردية الدالة على فريدة الرؤيا، وفردة الوعي. وفي خاتمة الخاتمة، نرى أنّ آليات تكوثر الفعل التأويلي تصدر عن فاعلية النص الحامل للمعاني، وعن وعي المتلقي الباحث عن مخرجات المعنى عبر لحظة الاتصال بالنص ونوعه الإبداعي، عبر خصائص هي من إمكانات اللغة (البلاغية- الصرفية- النحوية...) التي لا حصر لها، والتي تأخذ بتوجيه القارئ على وفق بعض آليات التلقي الجمالي، لأنّ دلالة العلاقة بين النص والمتلقي هي دلالة ذات نزعة فنية تساهم في إغناء النص أولاً، وفي فتح أحياء وفضاءات تتسع للتأويل، وتستجيب للذائقة القرائية التي تنزع إلى بناء نوع من أنواع الاختلاف الإيجابي مع النص الإبداعي من ناحية أخرى، لأنّ جِدّة الوعي القرائي لا تذهب إلى التقويض السلبي، بقدر ما تسعى إلى إضفاء الألفة إلى الغرابة، والتوافق إلى الاختلاف. ومنه يتّضح أنّ الفعل التأويلي يبتغي القصديّة، ذلك أنّ كل فعل قاصد هو فعل متعمّد نافع، فالقارئ هو من يقصد بقراءته التكلُّف والانفتاح، لا التوحّد والانغلاق، لأنّ الأنساق اللغويّة تتكاثر وتتكوثر في صيغ لا نهائية، مثلها مثل التعدد المعرفي الذي تُضمِّره هذه التراكيب والبنى اللغويّة.

هوامش البحث:

- ¹ ينظر: هانس روبرت ياكس، جمالية التلقي- من أجل تصور جديد للنص الأدبي- تقديم وترجمة: رشيد بنحدو، منشورات الاختلاف- الجزائر- ط01: 2016، ص: 97
- ² محمد شوقي الزين، الغسق والنسق - مقدمة في أفكار ميشال دوساروتو- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد، بيروت، ط01: يناير 2018، ص: 152-153
- ³ هانس روبرت ياكس -جمالية التلقي- من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تقديم وترجمة: رشيد بنحدو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2016، ص: 12
- ⁴ ينظر: منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، مرجع سابق، ص: 15
- 5- منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المرجع نفسه، ص: 19
- 6- منذر عياشي، المرجع نفسه، ص: 10
- 7- المرجع سابق، ص ن
- 8 - عبد الله بريحي: السيرورة التأويلية، مرجع سابق، ص: 135
- 9- عبد الله بريحي: المرجع نفسه، ص: 156

- 10- منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، مرجع سابق، ص: 59
 - 11- منذر عياشي: المرجع نفسه، ص: 98
 - 12- ينظر: خليل الموسى: آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق، 2010، دط، ص: 186
 - 13- خليل الموسى: المرجع نفسه، ص: 182
 - 14- ينظر: المرجع نفسه، ص: 175
 - 15- ينظر: المرجع نفسه، ص: 176
 - 16- منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، مرجع سابق، ص: 13
 - 17- منذر عياشي: المرجع نفسه، ص ن
 - 18- المرجع نفسه، ص: 10-11
 - 19- علي حرب: التأويل والحقيقة، مرجع سابق، ص: 07-08
 - 20- المرجع نفسه، ص: 07
 - 21- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص- مرجع سابق، ص: 178
 - 22- سعيد بنكراد: مسالك المعنى - دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية - دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا- ط01: 2006، ص: 186-187
 - 23- هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي- مرجع سابق، ص: 13-14
 - 24- خليل الموسى، المرجع نفسه، ص ن
 - 25- المرجع نفسه، ص: 189
 - 26- المرجع نفسه، ص: 187
 - 27- حميد حميداني: الخطاب الأدبي - التأويل والتلقي، كتاب: التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية -الرباط، المغرب، ط01: 1994، ص: 10.
 - 28- خالدة حامد: عصر الهرمينوطيقا -أبحاث في التأويل- منشورات الجمل، بيروت- لبنان، ط01: 2014، ص: 195.
 - 29- هيثم سرحان: استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، نادي تراث الإمارات، ط01: 2012، ص: 22.
- قائمة المراجع:**
- ينظر: هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي-من أجل تصور جديد للنص الأدبي، تقديم وترجمة: رشيد بن حدو، منشورات الاختلاف- الجزائر، ط01: 2016.
 - محمد شوقي الزين: الغسق والنسق- مقدمة في أفكار ميشال دوسارتو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد- بيروت، ط01: يناير 2018.
 - منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط01: 1998.
 - عبد الله بريحي: السيرة التأويلية في هرمينوسيا هانس جورج غادامير وبول ريكور، دائرة الثقافة والإعلام- الشارقة، ط01: 2010.
 - خليل الموسى: آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، دط: 2010.
 - علي حرب: التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط02: 2007.
 - نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص- دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط06: 2005.
 - سعيد بنكراد: مسالك المعنى- دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع- سوريا، ط01: 2006.
 - حميد حميداني: الخطاب الأدبي- التأويل والتلقي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط-المغرب، ط01: 1994.
 - خالدة حامد: عصر الهرمينوطيقا- أبحاث في التأويل، منشورات الجمل، بيروت- لبنان، ط01: 2014.
 - هيثم سرحان: استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، نادي تراث الإمارات، ط01: 2012.